STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY
PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179
www.san.khu.ac.ir

Rereading the Sufi Thoughts of Ibn Arabi in the Novel A Small Death by Mohammad Hassan Alwan

Hassan Sarbaz,[1] Hiva Babasafari[2]*

Abstract

Sufism is one of the valuable foundations of Islamic legacy that have been reflected in various ways in Islamic poetry and literature. Many poets and scholars have been influenced by sufi ideas and they have incorporated the legacy of Sufism into their works. In addition to poetry, the legacy of Sufism in contemporary Arabic literature has been widely reflected in fiction and especially in novel. One of the novelists who has paid special attention to the legacy of Sufism and the rereading of Sufi characters is Mohammad Hassan Alwan, who has reread the character and thoughts of Ibn Arabi, the prominent mystic and Sufi of the Muslim world, in his novel A Small Death. The significance of the novel A Small Death is that in addition to rereading the Sufi Thoughts of Ibn Arabi as one of the prominent figures in Islamic history and one of the greatest theoreticians of Mysticism and Sufism, it presents a picture of the state of the Islamic world and the Arab world at a critical juncture in history. The novel also provides the reader with many historical, philosophical, political, social, and mystical perspectives using a literary language. This study attempts to study the Sufi thoughts of Ibn Arabi in Mohammad Hassan Alwan's novel A Small Death through the descriptive method and content analysis method. The results show that the author rereads the different stages of Ibn Arabi's life and his thoughts using authentic historical sources and Ibn Arabi's own works, however, he narrates the accounts of birth and death in his own language in an utterly fictional and supernatural setting.

Keywords: Arabic Narratology, the legacy of Sufism, Ibn Arabi, Mohammad Hassan Alwan, A Small Death.

Spring (2025) Vol 6, No. 16, pp. 87-105

Received: 19/05/2024 Accepted: 18/12/2024

[1]Associate Professor of Arabic Language and Literature, University of Kurdistan, Sanandaj, Iran. (Corresponding author) *h.sarbaz@uok.ac.ir*

[2] MA in Arabic Language and Literature, University of Kurdistan, Sanandaj, Iran. *hiwababasafari@gmail.com*

CC BY NC

Publisher: Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

فصلية دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠
الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٢٧١٧-٠١٧٩

مقالة علمية محكمة

استدعاء أفكار ابن عربى الصوفية في رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان

حسن سرباز[١]* هيوا باباصفري[٢]

تاريخ القبول: ٢٠٢٤/١٢/١٨
تاريخ الوصول: ٢٠٢٤/٠٥/١٩

الملخّص

التصوف جزء مهم من التراث الإسلامي قد انعكس بصور مختلفة في الأدب الإسلامي. وهناك كثير من الشعراء والأدباء قد تأثّروا بالأفكار الصوفية والعرفانية فعبّروا عنها في آثارهم الشعرية والنثرية. وفي الأدب العربي المعاصر قد ظهر هذا التأثر في مجال الأدب القصصي والروائي كما ظهر في مجال الشعر. ومن الأدباء والروائيين الذين قد اهتموا بالتراث الصوفي واستدعاء الشخصيات الصوفية في آثارهم هو محمد حسن علوان الروائي السعودي الذي قام في روايته "موت صغير" باستدعاء شخصية وأفكار محيي‌الدين بن عربي. وترجع أهمية هذه الرواية إلى أنها تصوّر إلى جانب استدعاء شخصية ابن عربي وأفكاره كشخصية بارزة في التاريخ الإسلامي ومن المنظِّرين للتصوّف الإسلامى، أحوال العالم الإسلامي في مرحلة حساسة من تاريخه وتتطرّق إلى موضوعات تاريخية وفلسفية وسياسية واجتماعية وعرفانية بأسلوب أدبي. ويهدف هذا البحث مستفيداً من المنهج الوصفي- التحليلي إلى دراسة استدعاء أفكار ابن عربي الصوفية في رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان. وقد وصل البحث إلى أن الكاتب قد استفاد في رواية المراحل المختلفة من حياة ابن عربى وأفكاره من المصادر التاريخية المعتبرة كما استفاد من آثاره ولكن في مرحلة ولادته وموته اعتمد على خياله وقام برواية هاتين المرحلتين على لسان ابن عربى ذاته بصورة خيالية وغير واقعية.

الكلمات الدليلة: السردانية العربية، التراث الصوفي، ابن عربي، محمد حسن علوان، موت صغير.

الربيع (٢٠٢٥م)، السنة السادسة، العدد ١٦، صص. ٨٧-١٠٥

[١] أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة كردستان، سنندج، ايران (الكاتب المسؤول) h.sarbaz@uok.ac.ir
[٢] ماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة كردستان، سنندج، ايران. hiwababasafari@gmail.com

CC BY NC

الناشر:جامعة الخوارزمى والجمعية الايرانية للغة العربية وآدابها

١. المقدمة

محمد حسن علوان من الروائيين السعوديين المشهورين فاز سنة ٢٠١٧م بجائزة البوكر العربية، أهم جائزة أدبية عربية في مجال الرواية، لروايته "موت صغير". في هذه الرواية التاريخية، يروي علوان ويستدعي مراحل مختلفة من حياة وشخصية محيي الدين ابن عربي، الصوفي الكبير في النصف الثاني من القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع الهجري. وراوي الرواية هو ابن عربي نفسه، الذي يسرد حياته من قبل ولادته إلى ما بعد وفاته، ويشير في ثناياها إلى الكثير من أفكاره الصوفية. تتضمّن هذه الرواية ثلاثة مواضيع مرتبطة؛ الموضوع الأول هو سيرة ابن عربي التي يرويها بنفسه.أما الموضوع الثاني فهو قصة كتاب سيرة ذاتية كتبه ابن عربي بنفسه، حيث يبيعه شاب لاجئ سوري عام ٢٠١٢ في مقهى في بيروت لطالب جامعي من جامعة السوربون مقابل ألفي دولار. أما الموضوع الثالث من الرواية فهو كتيب من كلمات ابن عربي القصيرة الواردة في بداية أقسام الرواية المختلفة. كما أن عنوان الرواية مأخوذ من إحدى هذه الكلمات القصيرة المأثورة، حيث يقول فيها ابن عربي: "الحبّ موت صغير". تتكون الرواية من اثني عشر فصلاً، ويتكون كل فصل من عدة أقسام ليصل إجمالي عدد الأقسام إلى مائة قسم (فروغى، ١٣٩٦: ١١).

وتكمن أهمية رواية "موت صغير" في أنها، بالإضافة إلى استدعاء شخصية ابن عربى وأفكاره كأحد الشخصيات البارزة في التاريخ الإسلامي وأحد كبار منظري التصوف الإسلامي، تقدّم للقارئ صورة لأوضاع العالم الإسلامي والعالم العربي في فترة حساسة من التاريخ.

ويهدف هذا البحث مستفيدا من المنهج الوصفي وأسلوب تحليل المحتوى إلى دراسة استدعاء أفكار ابن عربي في رواية "موت صغير" والإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هي المراحل التي تمّ استدعاؤها من حياة ابن عربي وأفكاره في رواية "موت صغير"؟

٢. ما هي أهم أهداف محمد حسن علوان من استدعاء أفكار ابن عربي في رواية "موت صغير"؟

١. ١. الدراسات السابقة

محمد حسن علوان له مكانة مرموقة في الرواية العربية المعاصرة كما أن لروايته "موت صغير" شهرة واسعة في الأوساط الأدبية والنقدية وهناك مقالات علمية وصحفية تطرقت إلى هذه الرواية من جوانب مختلفة نكتفي بالإشارة إلى أهمها:

سميرة ردة حسين الحارثي (٢٠١٧) في مقالتها "المكان والصورة والدلالة رواية موت صغير لمحمد حسن علوان نموذجا" درست عنصر المكان ودلالته في رواية "موت صغير" وخلصت إلى أن عنصر المكان له أهمية كبيرة في هذه الرواية وأثر على العناصر السردية الأخرى للرواية. درس سليمان سالم السنانى(٢٠٢١) في مقالته "بنية الزمن في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان" عنصر الزمن، والترتيب الزمني، والمفارقة الزمنية، وسرعة السرد في رواية "موت صغير" بناءً على نظرية جيرار جنيت. سهير محمد سيد حسانين (٢٠٢٣) في دراسته "الاغتراب والسرد الكراماتي في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان مقاربة سردية" درس الاغتراب والسرد الكرامتي في رواية "موت صغير" من خلال الوقوف عند مسارات اغتراب السار، ثم الوقوف

على تداخل النص السردي مع النصوص التراثية كنصوص المنامات والكرامات لبيان العلاقة بين بين الاغتراب وتقنيتي السرد الكراماتي والرؤى المنامية. ناقشت طاهرة حيدري (١٤٤٥) في مقالتها "توظيف التاريخ في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان" تقنيات توظيف التاريخ في رواية "موت صغير" وذلك من خلال دراسة بنية الزمن بين السرد التاريخي والسرد الروائي، الفضاء التاريخي في الرواية، وبنية الشخصية الروائية بين حقيقة التاريخ والمتخيل الروائي.

منال بنت عبدالعزيز العيسى(٢٠١٧)، في مقالها "الخطاب الصوفي في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان" ناقشت في البداية بعض الشبهات حول هذه الرواية، ومنها انحراف علوان عن اتجاهه الرومانسي في هذه الرواية و التشابه الكبير بين نص الرواية وكتاب "البحث عن الكبريت الأحمر" لكلود عداس. ثم ناقشت موضوعات مثل عناوين النص، والمكان، والشخصيات الرئيسية والثانوية، والراوي وزاوية الرؤية في رواية "موت صغير". مها بنسعيد (٢٠١٨)، الناقدة المغاربية، في مقال بعنوان "موت صغير لمحمد حسن علوان، حكاية متخيّلة لابن عربي"، بعد أن قدّمت ملخصا لأحداث الرواية، قامت بتحليل الحبكة واللغة والراوي في الرواية. وفي نهاية المقالة، أشارت بإيجاز إلى الصراع الفكري بين الخلفاء والفقهاء من ناحية، والصراع بين الفقهاء والفلاسفة والصوفيين من ناحية أخرى. أمينة بنت عبدالرحمن الجبرين (٢٠٢٠) في بحثها المعنون بـ "المرأة والمدينة في رواية موت صغير، وهم الحب وتجلّيات التصوف"، درست حضور النساء في الرواية وارتباطهن بالمدينة فتناولت أربعة نماذج نسائية وهي الأم، والأم الروحية، والزوجة، والعشيقة وصور ارتباط هذه النماذج النسائية بخمس مدن تمثّلت في مرسيّة، وإشبيلية، ومكة، وبغداد، وملطية. هشام بن سعدة (٢٠٢٢) في مقالته "ابن عربي الأندلسي، انغلاق رحلة وانفتاح خطاب في رواية موت صغير لمحمد حسن علون" تطرّق إلى شخصية ابن عربي في بعدها الحجاجي والعرفاني والوجداني. ففي البعد العرفاني درس الموضوع في أقل من صفحة دون أن يشير إلى الموضوعات المدروسة في هذا البحث. محمود نعامنة (٢٠٢٤) في مقالته التي نشرت بعد كتابة هذا البحث "محمد حسن علوان ورواية موت صغير: تجربة التصوف المستعادة محي الدين ابن العربي ملهما" وإن تطرّق إلى استدعاء شخصية ابن عربي وأفكاره الصوفية إلا أنها لم يدرس الموضوعات المدروسة في هذا البحث وأرى أن الأفكار الصوفية في هذه الرواية تمكن معالجتها في أكثر من مقالة. في مقال تحت عنوان "آليات تطويع التراث الصوفي لتشكيل البنى السردية في رواية موت صغير" (٢٠٢٢)، ناقش عبد الرزاق بوقطوش استدعاء اللغة الصوفية، وكرامات الأولياء، والأوتاد الأربعه، والمريد والمراد. تطرّقت سمية تيشة (٢٠٢٣) في بحثها المعنون "توظيف التراث في رواية موت صغير" إلى موضوعات تراثية في رواية "موت صغير" مثل قالب السرد، اللغة، التصوف، القرآن الكريم، المخطوطات، أسماء الشخصيات وصورة المرأة.

مع أن عناوين بعض هذه المقالات تتداخل مع البحث الحالي، إلا أنه لم يتم في هذه المقالات مناقشة الموضوعات المطروحة في هذا البحث (التسامح والاعتدال، تعدد طرق الوصول إلى الله، تزكية النفس وتطهير القلب، الإيمان بالقدر الإلهي، الدين من منظور الصوفيين والفقهاء والفلاسفة) باستثناء إشارات عابرة وبأسلوب مختلف في مقالات بنسعيد وهشام بن سعدة ومحمود نعامنة وسمية تيشة إلى تراث التصوف في رواية "موت صغير".

٢. الإطار النظري للبحث

مفهوم التراث مفهوم معقد اختلف في تعريفه الباحثون، فيقول محمد عابد الجابري في كتابه "التراث والحداثة" في تعريف التراث: «التراث هو كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي سواء ماضينا أو ماضي غيرنا، سواء القريب منه أو البعيد... فليس التراث هو ما ينتمي إلى الماضي البعيد و حسب بل هو أيضا ما ينتمي إلى الماضي القريب. و «الماضي القريب » متصل بالحاضر، و الحاضر مجاله ضيق فهو نقطة اتصال الماضي بالمستقبل. إذن فما فينا أو معنا من حاضرنا، من جهة اتصاله بالماضي هو تراث أيضاً (الجابرى،١٩٩١:٤٥). ويقول حسن حنفي عن التراث في كتابه "التراث والتجديد": «التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضى داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضية موروث و فى نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات» (حنفى،١٩٩٢:١٣). ويرى فهمي جدعان أن «التراث يعني كل ما ورثناه من التاريخ» (الجدعان، ١٩٩٧: ٤٤٣).

من خلال هذه التعريفات يتضح أن الباحثين في التراث متفقون على مبدأ أساسي وهو أن عنصر الزمن في مفهوم التراث ينتمي إلى الماضي، لكن اختلافهم يكمن في تعريف الزمن الماضي، ففريق منهم يرى أن التراث هو كل ما وصل إلينا من «الماضي البعيد» وفريق آخر من الباحثين يضيف «الماضي القريب» إلى هذا الإطار الزمني (وتار،٢٠٠٢:٢١).

وفيما يتعلق بمصاديق التراث وأنواعه، يرى محمد عابد الجابري أن التراث هو الجانب الفكري للحضارة العربية الإسلامية، ويشمل العقيدة والشريعة واللغة والأدب والفن والكلام والفلسفة والتصوف وغيرها (الجابرى، ١٩٩١:٣٠)، كما يرى أن التراث في الخطاب العربي المعاصر يشمل التراث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني (م.ن: ٢٣). ويعتقد فهمي جدعان أن العلم والتكنولوجيا والقيم الأخلاقية والجمالية هي من العناصر الأساسية للتراث الذي يتوارثه البشر بعضهم من بعض (جدعان، ١٩٨٥:١٧).

وحول طرق التعامل مع التراث، هناك مواقف مختلفة منها: ١. الموقف التقديسي الذي يؤمن بأهمية التراث وقدسيته، ويعتقد أنّه لا قيمة إلّا لما هو قديم وتقليدي ويرفض أيّ شيء جديد أو حديث، معتبرا إيّاه انحرافًا عن القيم والمبادئ الأصيلة ويركز على الحفاظ على التراث ونقله للأجيال القادمة دون أيّ تغيير أو تطوير. ٢. الموقف التغريبي الذي يؤمن أصحابه بأهمية الحداثة والتقدم، ويعتقدون أنّ كلّ ما هو جديد وحديث هو ذو قيمة، وأنّ التراث قد عفا عليه الزمن ولم يعد له أيّ أهمية في العصر الحالي ويرفضون الرجوع إلى الماضي أو الاستفادة من التراث، معتبرين إيّاه عائقًا أمام التقدم والازدهار. ٣- الموقف الوسط الذي يؤمن أصحابه بأهمية كلّ من التراث والحداثة، ويعتقدون أنّ لكلّ منهما مزاياه وعيوبه ويؤمنون بأنّ التراث حامل للقيم والمبادئ التي تشكل هوية المجتمع، وأنّه من الضروري الحفاظ عليه ونقله للأجيال القادمة. ولكنّهم يعتقدون في نفس الوقت أنّ الحداثة ضرورية للتقدم والازدهار، ويسعون إلى تحقيق التوازن بين التراث والحداثة، من خلال تطوير التراث وتكييفه مع العصر الحالي، والاستفادة من الحداثة دون التخلي عن القيم والمبادئ الأصيلة (وتار، ٢٠٠٢: ٣٤-٣٨). فليس الماضي كله سيّئاً ولا الحاضر كله جيّدا ولايجوز أن ننظر إلى أيّ منهما بتعصّب، بل يجب فهم إيجابيات كلٍّ منهما (القاعود، ٢٠١٠: ٥-٦). ولا يمكننا قطع الصلة تماماً بتراث الماضي، لأنّه يُشكّل جزءاً لا يتجزّأ من منظومتنا الفكرية والثقافية، مع أنه ينتمي إلى تاريخنا القديم (عبدالرحمن، د.ت: ١٩). ولذلك يجب على الأديب المعاصر أن يتعامل مع تراث الماضي من

جهة، وأن لا يكتفي به من جهة أخرى، بل عليه أن يُضيف إليه مضامين جديدة، كما قال صلاح عبد الصبور: «الشاعر الكبير هو من يتجاوز التراث ويُضيف إليه شيئاً جديداً.» (سرباز و آريادوست، ١٣٩١: ٨١). ويعد محمد حسن علوان من أصحاب هذا الاتجاه بالنسبة إلى التراث حيث تعامل معه دون أن يكتفي به وحاول أن يحقّق التوازن بين التراث والحداثة.

يُعدّ التصوف من دعائم التراث الإسلامي، وقد انعكس بطرق مختلفة في الشعر والأدب الإسلامي وتأثّر عديد من الشعراء والأدباء بالأفكار الصوفية واستفادوا من التراث الصوفي في أعمالهم الإبداعية والأدبية. وفي الأدب العربي المعاصر لم يقتصر تأثير التراث الصوفي على الشعر فقط، بل امتدّ ليشمل الأدب القصصي و فن الرواية أيضا، وذلك لوجود نقطة مشتركة بين الأدب والعرفان، وهي السعي إلى إعلاء الروح الإنسانية. فإذا كان الأدب، وخاصة الرواية، شكلاً متطورًا للنشاط الفكري والأدبي، فإنّ التصوف والعرفان يُمثلان شكلاً متطورًا للنشاط الروحي للإنسان (بوكرش، ٢٠١٧: ٤٨). ويتجلى تأثير التراث الصوفي في الرواية العربية في استدعاء اللغة والمصطلحات الصوفية، وتقديم الشخصيات الصوفية وعرض أفكارهم وكراماتهم (م.ن: ٥٣-٧٤).

ومن الروائيين الذين اهتموا بشكل خاص بالتراث الصوفي واستدعاء الشخصيات الصوفية، هو محمد حسن علوان، الذي استدعى في روايته "موت صغير" شخصية وأفكار ابن عربي، الصوفي الشهير في العالم الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن السادس والنصف الثاني من القرن السابع الهجري وذلك ليضيف بعداً روحياً وفلسفياً عميقاً للرواية، حيث تحولت من مجرد سرد للأحداث إلى رحلة صوفية للبحث عن الحقيقة والمعنى، ليشجّع القارئ على التأمل في معنى الوجود والحياة والموت، من خلال طرح أفكار صوفية عميقة، ويظهر أن الفكر الصوفي لا يزال حياً وله صدى في عالم اليوم، وأن الأفكار التي طرحها ابن عربي قبل قرون لا تزال ذات صلة بنا وأن الحقيقة الإنسانية الأساسية لم تتغير عبر الزمن، وأن الصراع بين الروح والمادة، والحب والخوف، هو صراع أزلي.

٣. البحث

٣. ١. استدعاء شخصية ابن عربي

استدعى محمد حسن علوان في رواية "موت صغير" المراحل المختلفة لحياة ابن عربي منذ ولادته وطفولته إلى شيخوخته وموته وقد استفاد في ذلك من مؤلفات ابن عربي نفسه وكذلك من المصادر المختلفة التي كتبت عنه كما استفاد بعض الأحيان عن وحي خياله.

وقد صوّر علوان ولادة ابن عربي في فضاء خيالي غرائبي أطلق عليه اسم "البرزخ" حيث يرى فيه ابن عربي ولادته فيقول علوان على لسان ابن عربي: «أعطاني الله برزخين: برزخا قبل ولادتي و آخر بعد مماتي. فى الأول رأيت أمي وهى تلدني» (علوان، ٢٠١٦:١٣).

تبدأ ولادة ابن عربي بعالم البرزخ، عالم غرائبي يجذب القارئ إلى عالم صوفي أسطوري، ويشوّقه لمتابعة القصة وميلاده الحالم، حيث كان يشاهد ولادته بنفسه قبل أن يولد. يولد ابن عربي في فضاء خيالي يروي قصة ولادته في عالم البرزخ وكأنه إنسان

عاقل يستطيع أن يفهم ما يدور حوله ويصفه ويحلّله. ويرى ابن عربي عالم البرزخ الذي يولد فيه عالم الحقيقة والنور والكشف، بينما يرى الدنيا دار الجهل والظلام والشبهات، ولذلك عندما يخرج من عالم البرزخ بالولادة ويدخل عالم الدنيا الفانية، يعبر عن أسفه وحزنه قائلاً: «ما أوجع أن تفارق البرزخ، الذي كلّه كشف في كشف لتدخل الدنيا التي كلها جهل فى جهل؛ من برزخ الحقيقة إلى عالم الشبهات...» (م.ن: ١٤).

أما عندما قام علوان برواية مراحل طفولة ابن عربي ومراهقته وشبابه وشيخوخته، فلم يستفد من هذا الفضاء الخيالي الغرائبي، بل صوّر حياته بصورة واقعية على أساس ما جاء في آثاره وفي المصادر المتعلقة بحياته. وفي نهاية الرواية، يشير علوان إلى موت ابن عربي على لسانه، حيث يروي ابن عربي نفسه عملية موته وجنازته وتكفينه ودفنه ويتحدث عن عالم البرزخ الخاص به قائلا: «ماأسهل حياة البرازخ أن تتأمل الحياة وأنت مجرد من الإرادة لا تفعل ولا تنفعل. يحملك رجل وامرأة إلى بيت غريب. يجسّانك ويحوقلان ثم يحجبان عنك العالم بعباءتك...» (م.ن: ٥٩١). ومع أن علوان قد حدد مكان وفاة ابن عربي بأنه الحديقة التي كان يعمل فيها، إلا أن هناك خلافا كبيرا بين المصادر التاريخية حول مكان وطريقة وفاته (عداس، ١٣٨٧: ٤٧١-٤٧٤ و ارول قليچ، ١٣٩٤: ٣٤-٣٥).

وكما نرى فإن علوان قد روى موت ابن عربي بنفس الطريقة التي روى بها ولادته، في فضاء خيالي وماورائي تماماً، حيث يروي ابن عربي نفسه موته وجنازته وكفنه ودفنه، كما روى ولادته وبذلك تخرج الرواية في هذه المواضع من حالتها الواقعية والتاريخية وتأخذ بعدا خيالياً وماورائياً.

٣. ٢. استدعاء أفكار ابن عربي الصوفية

استدعى محمد حسن علوان إلى جانب مراحل مختلفة من حياة ابن عربي وشخصيته، كثيرا من أفكاره الصوفية كي يستفيد منها الناس في عالمنا المضطرب الذي فقد فيه الناس قدرتهم على التحمل والتعايش، واندفعوا إلى الصراع والتقاتل بسبب الاختلافات الدينية والمذهبية والعرقية وغيرها.

٣. ٢. ١. التسامح

يُعدّ التسامح والتعايش السلمي من أهمّ مبادئ التصوف الإسلامي، وقد تجسدت هذه المبادئ بوضوح في أفكار ابن عربي وظهرت جليّة في شعره وكتاباته، وفي ديوانه "ترجمان الأشواق"، يُعبّر ابن عربي عن إيمانه بوحدة الأديان، ويُعلن أن جوهر دينه هو الحب الإلهي الذي يجمع بين جميع البشر واعتبر قلبه مأوى الحب الإلهي، ومرعى الغزلان، ودير الرهبان وبيت الأوثان وكعبة الطائفين وألواح التوراة ومصحف القرآن ويعتبر الحب دينه وإيمانه قائلا:

لقد صارَ قلبي قابلاً كلَ صُورةٍ فمرعىً لغـزلانٍ ودَيرٌ لرُهبَـانِ
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قـرآن
أدينُ بدينِ الحـبِ أنّى توجّهتْ ركائبُهُ، فالحبُّ ديني وإيمَاني
(ابن عربى، ٢٠٠٥: ٦٢)

وتُعدّ أفكار ابن عربي في هذا المجال ذات أهمية كبيرة في عصرنا الحاضر، حيث يزداد انتشار التعصب والكراهية بين مختلف الأديان والمذاهب. استهلّ محمد حسن علوان روايته "موت صغير" بنقل قولٍ مأثورٍ لابن عربي يُعبّر فيه عن جوهر فلسفته في التسامح والتعايش وهو قوله: «إلهي ما أحببتك وحدي لكن أحببتك وحدك» (علوان، ٢٠١٦: ١).

وكأنه يريد بهذه العبارة في بداية الرواية أن يؤكد على التسامح والتعايش من وجهة نظر ابن عربي وأن يوضّح للقارىء أن هناك طرقًا عديدة للوصول إلى الله ويستطيع الجميع أن يعبروا عن حبهم للحبيب الأزلي بطريقتهم المخصوصة ولاداعي للاختلاف والتنازع والحروب والقتال.

وفي موضع آخر من الرواية يشكو ابن عربي إلى والدته الروحية، من عدم وصوله إلى الأوتاد مع أنه قد قام بتطهير قلبه، فتردّ عليه والدته بأنه لا تكتمل طهارة القلب إلاّ بقبول جميع أشكال الوجود:

«–قلتِ حتى أطهر قلبي. أليس طاهرا بما يكفي؟

– و كيف طهرته؟

– حملته على مكارم الأخلاق و صفاءالسريرة وحسن النية حتى صيرته رافضاً كل صورة غير ذلك.

– تلك نصف الطهارة يا بني.

– و كيف أتم نصفها الآخر؟

– بأن تصيره قابلاً كل صورة!» (علوان، ٢٠١٦: ١٢١–١٢٢).

وتُشيرُ هذه المقولة إلى أنّ طهارة القلب لا تقتصرُ على التخلّص من الرذائل والصفات السلبية، بل تتطلّبُ أيضاً قبولَ جميع مخلوقات الله تعالى بكلّ ما فيها من تنوعٍ واختلاف. فكما أنّ الله تعالى يُحبّ جميع مخلوقاته، بغض النظر عن عيوبها أو نقائصها، يجبُ على الإنسان أيضاً أن يتقبّل الآخرين بكلّ ما فيهم، دون تمييزٍ أو تحقير. وهذا المفهومُ يُمثّلُ فلسفةً عميقةً في التسامح والتعايش، حيثُ يُؤكّدُ على أنّ الحبّ الإلهيّ يشملُ جميع المخلوقات، وأنّ طهارة القلب لا تتحقّق إلاّ بقبول هذا التنوع.

يتكرّرُ في مواضع متعددة من رواية "موت صغير" تأكيدُ ابن عربي على مبدأ التسامح والتعايش السلميّ، وذلك من خلال مواقفَ متعددةٍ تُجسّدُ فلسفتهُ في هذا المجال. ففي بداية بعضِ فصولِ الرواية، يُوردُ الكاتبُ بعضَ الأقوالِ المأثورةِ لابن عربي، والتي تُعبّرُ بوضوحٍ عن إيمانهِ بالتسامح والتعايش السلمي، فقد جاء في بداية الفصل الخامس والتسعين: «يأتي باللين ما يأتي بالقهر، و لا يأتي بالقهر ما يأتي باللين» (م.ن: ٥٥٥) وجاء في بداية الفصل السادس والخمسين «عقد الخلائق في الإله عقائدا، وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه» (م.ن: ٥٦١).

تشير العبارة الأولى إلى أنّ اللّين والرفقَ هما السبيل الأمثلُ لإنجازِ الأمورِ، وأنّ العنف والقهر لا يُؤدّيان إلاّ إلى المزيدِ من العنفِ والتطرّفِ. أمّا العبارة الثانية فهي تجسّد قمّة تسامحِ ابن عربي، حيثُ يُؤكّد فيها على احترامه لجميع الأديانِ والمعتقدات، وأنّهُ يُؤمنُ بجوهر الحقيقة الذي يجمعُ بين جميع البشر. فهذا الموقفُ يُمثّلُ نموذجًا رائعا للتسامح والتعايش السلميّ، حيث يُؤكّد على أنّ الاختلاف في المعتقدات يجب أن لايكونَ سبباً للصراع والانقسام، بل يجب أن يكون أساساً للحوار والتبادل الثقافيّ.

وفي ختام الرواية حينما يلتقي ابن عربي بوتده الرابع، شمس التبريزي، ويُخبره شمس بأنّ الله تعالى قد ثبّت قلبك بفضل هذه الأوتاد الأربعة، لكنّ ابن عربي يُعربُ عن عدم شعوره بهذا الثبات ويقول: «ولكني لا أشعر بهذا الثبات الذى تقول يا مولانا» (م.ن: ٥٣٧)، فيردّ عليه شمس قائلًا: «لأنّك تصرّ على أن تعيش في الحياة، وأنا أقول لك: دعِ الحياة تعيشُ فيك» (م.ن: ٥٣٧).

يشيرُ شمس التبريزي في هذه المقولة إلى أنّ ابن عربي قيّد نفسه بقيود الحياة الدنيا، وركّز على نفسه بينما يجب عليه أن يتّسع صدره ليشملَ جميع المخلوقاتِ ويتخلّص من الأنا الضيقة ويُصبحَ بمثابة وعاءٍ يتسع لجميع أشكال الحياة.

٣. ٢. ٢. تعدّد طرق الوصول إلى الله

هناك طرق متعددة للوصول إلى الله تعالى والتقرّب من ذاته المقدّسةِ ولا يقتصرُ ذلك على أداء الشعائر الظاهريّة أو الانخراط في سلك التصوّف والفقه فقط، بل إنّ المؤمن الحقيقيّ يُمكنه أنْ يسلكَ طريقَ التقَرّبِ إلى اللهِ من خلالِ أيّ مهنةٍ أو عملٍ يمارسهُ، طالما أنّه يؤدّيه بإخلاص وصدق نية. وقد عبّر محمد حسن علوان عن هذه الحقيقة في حوار ابن عربي مع تلميذه سودكين. فعندما يُعبّر سودكين عن استيائه من سلوكِ ابنه التاجر الذي رفضَ اتّباع نهج أبيه في التصوّف والزهد والعبادة، واتّجه إلى التجارة، يُشير ابن عربي إلى أنّ طرقَ الوصولِ إلى الله تعالى متعدّدةٌ بتعدّد أنفاس الخلق، فيخاطب سودكين قائلاً: «اسمع يا سودكين. إن طريق الله هو الطريق العام، أما الطريق إلى الله فيتعدد بعدد أنفاس الخلائق» (علوان، ٢٠١٦: ٥٤). وهنا يتبيّن للقاريء أنّ لكلّ إنسان طريقاً خاصًّا بهِ للوصولِ إلى اللهِ تعالى، وأنّه يمكن لكل إنسان أن يصل إلى الله من خلال وظيفته ومهنته بشرط أنْ يؤدّيهما بإخلاص وصدق، وأنْ يتجنّب المعاصي والمحرّمات.

وعندما سأل سودكين أستاذه هل يمكن أن تكون التجارة أيضًا أحد طرق الوصول إلى الله؟ يقول ابن عربي في جوابه: «أجل، التجارة من أعمال الأنبياء. إن الزهد في الباطن وليس في الظاهر، ولا ينبغي لنا أن نزهد في ما خلقنا من أجله» (م.ن: ٥٤). ما يهم ابن عربي هو الباطن والقلب، لا الظاهر والمهنة ويمكن للمؤمن أن يكون تاجراً ثرياً، دون أن يغفل عن ربه.

٣. ٢. ٣. تزكيه النفس وتطهير القلب

إن تزكيه النفس وتطهير القلب من الموضوعات المهمة التي أكد عليها القرآن الكريم كثيراً، وجعلها سببا لسعادة الإنسان وفلاحه فيقول القرآن الكريم: «ونفسٍ وماسوّيها فألهَمَها فجورَها وتقويها. قد أفلَحَ من زَكّيها وقد خاب من دسّيها» (سوره الشمس/ ٧-١٠). «يوم لاينفعُ مال و لا بنون؛ إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم» (سوره الشعراء/ ٨٨-٨٩). وقرّر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أن صحة القلب يؤدي إلى صحة جسد الإنسان كله، وأن فساد القلب يؤدي إلى فساد جسد الإنسان كله وقال: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وهِيَ القَلْبُ» (النيسابورى، د.ت، ج٣: ١٢١٩).

وقد اهتم التراث الصوفي تبعا للقرآن الكريم والسنة النبوية اهتماما كبيرا بتزكية النفس وتطهير القلب من الذنوب والمعاصي، حيث يرى أن السلوك إلى الله يبدأ من تطهير القلب وأنّ صفاء القلب هو الأساس لبلوغ الكمال الروحي. وفي رواية "موت صغير" التي استدعى فيه علوان التراث الصوفي من خلال شخصية ابن عربي وأفكاره، تم التأكيد على تزكية النفس وتطهير القلب منذ طفولة ابن عربي إلى سن رشده. فعندما كان ابن عربي طفلاً وسافر مع عائلته وفاطمة بنت مثنى، أول مرشدته الروحية، إلى إشبيلية خوفًا من الحصار وأرادت فاطمة في الطريق أن ينفصل عنهم ويذهب إلى قرطبة، كان أول ما أوصته به هو أن يُطهِّر قلبه حتى يستطيع أن يجد أوتاده الأربعة وأكّدت له على وجود أحد أوتاده في إشبيلية.

«–أدن مني يا بني.

– لبيك يا أماه.

– في إشبيلية وتد من الأوتاد الأربعة ولا شك» (علوان، ٢٠١٦: ٤٢).

وعندما سألها ابن عربي عن الأوتاد، أجابت بأنهم أشخاص أربعة يحمون العالم من الشر.

«– و من هم الأوتاد؟

– أربعة يحفظون الأرض من السوء» (م.ن).

وحينما سأل عنها ابن عربي: "كيف أعرفهم وكيف أجدُهم؟" قالت فاطمة في جوابه: "هم أنفسهم يعرفونك ويجدونك، بشرط أن تُطهّر قلبك".

«– و كيف أعرفهم؟

– هم يعرفونك.

– و كيف أجدهم؟

– هم يجدونك.

ضمتني إليها ضماً طويلا حتى مللت. دَسَّت كفها في صدري و أغمضت عينيها و قرأت فاتحة الكتاب ثم نقرت بأصبعها على موضع قلبي تماماً و قالت:

– طهِّر هذا...ثم اتبعه. و عندها فقط يجدك وتدك.» (م.ن).

وكذلك حينما عجز ابن عربي وهو في الأربعين من عمره عن الزواج مع "نظام"، ابنة أستاذه الشيخ أبو شجاع الأصفهاني، والتي أنشد ديوان "ترجمان الأشواق" في حبها ولم يتمكن من العثور على وتده الثالث وأصيب باضطراب نفسي، دعاه صديقه إسحاق لتطهير قلبه قائلا:

«–يا محيي. أنت لا تجد الوتد، هوالذي يجدك.

– كيف؟

-لأن تثبيتك هي مهمته. إن وتدك يجدّ في البحث عنك أكثر مما تجدّ في البحث عنه. و لن يستدل عليك حتى يكون قلبك أطهر ما يكون» (م.ن: ٣٥٩).

حتى عند طواف الكعبة، لم يطلب ابن عربي من الله تعالى سوى طهارة القلب وصفاء الروح: «أقبلَ موسمُ الحجّ فحججنا أنا وبدر حجاً لم أسأل اللهَ فيه إلاّ طهارةَ القلبِ وصفاءَ الروح» (م.ن: ٣٦٠).

٣. ٢. ٤. الإيمان بالقضاء والقدر

إنّ الإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الأساسية وقد تناوله ابن عربي بالشرح والتوضيح في كثير من مؤلفاته (ابن عربى، ١٩٩٩، ج٧: ٢٥-٢٧). ولم يقتصر إيمان ابن عربي بالقضاء والقدر على الجانب النظري فحسب، بل تجلى ذلك أيضًا في حياته العملية، حيث اتّسم سلوكه بالرضا والتسليم لما يقدره الله تعالى، حتى في أحلك الظروف. وإنّ استسلام ابن عربي أمام القدر الإلهي لم يكن ناتجًا عن ضعف أو يأس، بل كان نابعًا من إيمانه العميق بقدرة الله تعالى وحكمته المطلقة، ومن شعوره بالرضا والتسليم لما يقدره الله له. فقد كان ابن عربي يُؤمن بأنّ الله تعالى هو أرحم الراحمين، وأنّه لا يُقدّر على عباده إلا ما هو خيرٌ لهم، وأنّ كل ما يحدث في هذا الكون هو بمشيئة الله تعالى.

ولم يغفل محمد حسن علوان في رواية "موت صغير" عن هذا الجانب من فكر ابن عربي، بل أشار إليه في مواضع مختلفة. ففي بداية الرواية، وفي مونولوج داخلي يتنبأ فيه بحياته المليئة بالتقلبات، يرى ابن عربي أن حياته هي جزء من مقدرات الله تعالى التي قدرها له قبل خلقه. «منذ أوجدني الله في مرسية حتى توفاني في دمشق و أنا في سفر لا ينقطع. رأيت بلاداً و لقيت أناساً و صحبت أولياء و عشت تحت حكم الموحدين و الأيوبيين و العباسيين و السلاجقة في طريقٍ قدّره الله لي قبل خلقي» (علوان، ٢٠١٦: ٢٥).

فإن عبارة "في طريق قدَّره اللهُ لي قبلَ خلقي" تعبر بوضوح عن طريقة تفكير ابن عربي في هذا المجال، وكأن الله قد حدَّد قبل خلقه طريق حياته ولم يكن أمامه إلا أن يتبعه.

وكذلك عندما كان والد ابن عربي يأخذه إلى حلقة درس الشيخ يوسف الكومي الذي جاء من فاس إلى إشبيلية، كان ابن عربي يعتبره شيخه ومرشده الذي قيّضه الله له منذ الأزل: «اختاره أبي لي شيخاً فوضعني على أول الطريق دون أن يدري. قدَّر الله أقداره في السماء و أنفذ أبي مشيئته في الأرض، و التقى أخيرا المريد بمراده...» (م.ن: ٨٩-٩٠).

وعندما يدخل بغداد يكرر هذا التفكير بطريقة أخرى ويعتبر تطوراته الزمانية والمكانية جزءاً من القدر الإلهي ويقول: «وكنت على يقينٍ أن نهايتي معها لن تكون كبقية البلاد الأخرى التي طردتني في الأندلس و المغرب و مكة و الشام و مصر... يريد الله أن يبتلي السالك حتى يرى طريقه و العارف حتى يذوق إيمانه. و يقلبني الله بين إصبعيه في المكان و الزمان حتى أعرف قدر نفسي فلا أعدو عنها...» (م.ن: ٤١٠).

وقوله "يقلبني الله بين إصبعيه" إشارة إلى الحديث النبوي: «قلبُ المؤمنِ بينَ أُصبُعين من أصابع اللهِ» الذي نقله ابن عربي أيضا في الفتوحات المكية (راجع: ابن عربي، ١٩٩٩، ج١: ١٤٩).

٣. ٢. ٥. الدين من منظور الصوفية والفقهاء والفلاسفة

إنّ استدعاء شخصية ابن عربي وأفكاره في الرواية هو استدعاء ديناميكي، حيث يتم استدعاء أفكاره و آرائه مرات عديدة بما يتناسب مع أجواء الرواية. تبدأ القصة الرئيسية للرواية عندما يبدأ ابن عربي رحلة طويلة مليئة بالمغامرات المثيرة للاهتمام بحثًا عن أوتاده، بتوجيه وإرشاد من فاطمة. والفكرة الرئيسية في الرواية بأكملها هي نوع من إعطاء الأولوية للقراءة الصوفية للدين، وعلى هذا الأساس جعل المؤلف، ابن عربي، راوي الرواية وممثّل هذه القراءة وبذلك تمكن من إعطاء الأولوية لهذا النوع من التفكير على القراءات الفقهية والفلسفية. وبعبارة أخرى، فضّل علوان النظرة الرومانسية للدين ولله المبنية على الحب على النظرة الظاهرية والنقلية للفقهاء، وكذلك النظرة العقلية للفلاسفة.

في هذه الرواية يمثل ابن رشد قراءة الفلاسفة للدين، وهو الذي حاوره ابن عربي في هذه الرواية وفي دنيا الواقع أيضا، ولذلك فإن قصة لقاء ابن عربي وابن رشد في هذه الرواية لها تناص خاص مع آثار ابن عربي الأصلية، وتقود بذهن القارئ دون وعي إلى اللقاءات الحقيقية بينهما والأحاديث التي دارت بينهما. وفي جزء من الرواية يزور ابن عربي ابن رشد وفي حوار علمي وردّا على أسئلة ابن رشد، يشير ابن عربي إلى الفرق بين النظرة الصوفية والنظرة الفلسفية للدين، ويعتبر النظرة الفلسفية تفسيرا ينظر إلى الماضي وإلى هذه الدنيا فقط، بينما النظرة الصوفية هي نظرة اكتشافية مستقبلية تنظر إلى المستقبل وإلى الدنيا والآخرة. وعندما سأله ابن رشد عن نقطة الاشتراك بين التصوف والفلسفة أجابه كما يلي:

«– وهل وجدت ما توصل إليه الفلاسفة من القوانين الطبيعية تتفق مع رؤية أهل التصوف من الأمور الكشفية؟

– نعم.

– هذا جميل...و...

قاطعتُه قبل أن يُتمَّ عبارته:

– و لا أيضا.

تراجع برأسه قليلاً إلى الخلف و عقد حاجبيه باستفهام و هو يسأل:

– ماذا تعني؟

– أعني نعم ولا.

– و كيف نعم ولا؟!

–نعم إنها تتفق في هذا العالم كما نشهده. ولكنه لا تتفق لأن العالم لا يستمر على ذات الحال.

– أوضح كلامك يا بني... فأنا كبرت و لم أعد متّقد الذهن مثلك.

– إنما قوانين الفلسفة قوانين وضعية تفسر ما مضى، ولكنها لا تفسر ما سيأتي كما هو الكشف.

– نعم إنها لا تتنبأ بالغيب ولكنها تضع القانون الذي إن حدثت فلن تخالفه.

– لا يوجد قانون.

– لا يوجد قانون؟!

– نعم لا يوجد قانون. يوجد فقط خلقٌ متعلقٌ بإرادة الله تعالى» (علوان، ٢٠١٦: ١٢٧–١٢٨).

ويظهر التحدي بين الفقهاء والفلاسفة والصوفية بطرق مختلفة في الرواية، ففي إحدى القصص التي يرويها ابن عربي نفسه، يقول: ذات يوم جاء شيخنا عبد القيوم الرندي (ممثل الفقهاء الظاهريين) الذي كان فقيها مشهورا إلى حلقة درسنا وطلب منا أن نذهب ونحضر كتاب"تهافت الفلاسفه" لنقرأه معًا، ولم يمض شيء من قراءتنا حتى انتقد بشدة الفلسفة والفلاسفة، ومن بينهم ابن رشد، وبلهجة ازدراء أدان وجهة نظره حول الحسن والقبح العقليين، واعتبرها مخالفة لحكم الله وشريعته فقال: «خيب الله مسعاه. يقول في مجلسه: الحسن ما حسَّنه العقل، والقبيح ما قبَّحه العقل ويحه! فأين حكم الله و الشرع؟» (م.ن: ١٢٥). ويرى ابن عربي أيضاً أن وجهة نظر ابن رشد حول الحسن والقبح العقليين تتعارض مع نداء القلب والكشف الإلهي، ويقول: «وكنت أقول في نفسي: ويحه! فأين وجيب القلب وكشف الرب؟!» (م.ن: ١٢٥).

ويستمر الخلاف بين هذه الأطياف الفكرية الثلاث بأشكال مختلفة إلى أواخر الرواية، وفي كل حوار يتم الإشارة إلى نقاط القوة والضعف في هذه الاتجاهات الثلاثة. ففي جزء من الرواية ومن خلال سرد قصة لقاء ابن عربي بأبي بكر حصار، عالم الرياضيات الشهير الذي كان من الأولياء الصالحين ومن أصحابه، يقدّم علوان على لسان ابن عربي وبأسلوب جميل وعلمي، ملخصًا للنقاش بين الفقهاء والفلاسفة والصوفيين. ففي طريقهم إلى مكة، علّم أبوبكر حصار ابن عربي الكثير من الرياضيات، وفي المقابل طلب منه أن يعلّمه بإيجاز بعضًا من علمه. وبما أن ابن عربي يعلم أن حصار لا يميل إلى التصوف ولا إلى الفلسفة، فإنه يريد أن يقدم له شرحًا بسيطًا للفقه والتصوف والفلسفة ويقول له في هذا السياق: إذا اتجه الإنسان إلى الوحي فقط، يصبح فقيهًا ظاهريًا، وإذا اتجه إلى العقل فقط، يصبح فيلسوفًا، وإذا اتجه إلى القلب فقط، يصبح صوفياً. فيقول محمد حسن علوان على لسان ابن عربي مخاطباً أبا بكر حصار:

«–اعلم يا رفيق دربي أنه توجد في الطبيعة ثلاث قوى غيبية: الوحي والعقل والقلب.

– هز رأسه و قد بدا عليه الاهتمام و أنصتَ فتابعتُ كلامي مختصرا إياه قدر المستطاع:

– فإن مال المرء جهة الوحي وحده صار ظاهريا. وإن مال جهة العقل وحده صار فيلسوفا. وإن مال جهة القلب وحده صار صوفيا» (م.ن: ٢٦٣).

وعندما يسأله حصار عما إذا كان من الممكن للإنسان أن يتجه إلى الوحي والعقل والقلب معا وفي نفس الوقت، فيرد ابن عربي قائلاً: «لتحقيق ذلك، نحتاج إلى جسور للتواصل. والجسر الذي يربط بين الوحي والعقل هو التفسير، والجسر الذي يربط بين الوحي والقلب هو التأويل، والجسر الذي يربط بين العقل والقلب هو الحب".

«– ألا يمكن أن يميل إليها كلها؟

– إن أرادها كلها فلا بد له أن يبني جسوراً بينها.

– وكيف يبني هذه الجسور؟

– بين الوحي والعقل لابد من جسر التفسير. وبين الوحي والقلب لا بد من جسر التأويل.

– وماذا بين العقل و القلب؟

– بين العقل والقلب لا بدّ من جسر الحب» (م.ن: ٢٦٣).

في هذا الحوار المختصر والمفيد، يُقدم محمد حسن علوان، على لسان ابن عربي، شرحا جميلا لِوَسائل كسب المعرفة الثلاث وهي الوحي والعقل والقلب كما يُوضّح اختلاف آراء الفقهاء والفلاسفة والصوفيين في هذا الشأن. ووصل علوان على لسان ابن عربي إلى أنّ التفسير والتأويل والحب هي الوسائل التي تربط بين هذه المنظومة المعرفية في الإسلام وتُحقّق التواصل بين هذه الفئات الثلاث.

النتائج

يعدّ التصوف إحدى الركائز الأساسية للتراث الإسلامي، وقد تجلى بأشكال مختلفة في الشعر والأدب الإسلامي وتأثّر العديد من الشعراء والأدباء بالأفكار الصوفية، واستخدموا التراث الصوفي في أعمالهم.

قد قام محمد حسن علوان في روايته "موت صغير" باستدعاء مراحل مختلفة من حياة ابن عربي، بدءا من مولده حتى وفاته، بالإضافة إلى استدعاء كثيرٍ من أفكاره الصوفية بهدفِ توظيفها في عالمنا الذي يعاني من الفوضى والاضطرابات الروحية والفكرية. وليضيف بعداً روحياً وفلسفياً عميقاً للرواية، وليشجّع القارئ على التأمل في معنى الوجود والحياة والموت، من خلال طرح أفكار صوفية عميقة، ويظهر أن الفكر الصوفي لا يزال حياً وله صدى في عالم اليوم، وأن الأفكار التي طرحها ابن عربي قبل قرون لا تزال ذات صلة بنا وأن الحقيقة الإنسانية الأساسية لم تتغير عبر الزمن، وأن الصراع بين الروح والمادة، والحب والخوف، هو صراع أزلي.

قد صوّر محمد حسن علوان ولادة ابن عربي ووفاته في فضاء خيالي غرائبي يكون فيه ابن عربي نفسه راوي القصة ويرى ولادته في عالم البرزخ ويروي عملية وفاته وجنازته وتكفينه ودفنه، أما عند ما قام علوان برواية مراحل طفولة ابن عربي ومراهقته وشبابه وشيخوخته، فلم يستفد من هذا الفضاء الخيالي الغرائبي، بل صوّر حياته بصورة واقعية على أساس ما جاء في آثاره وفي المصادر المتعلقة بحياته.

إن التسامح، وتعدّد طرق الوصول إلى الله، وتزكية النفس وتطهير القلب والإيمان بالقدر من الأفكار الصوفية لابن عربي التي تجلّت في رواية "موت صغير" وتمّت دراستها في هذا البحث.

وتمّت في هذه الرواية مقارنة الدين من منظور ابن عربي الصوفي بمنظور الفلاسفة والفقهاء. ففي هذا السياق، يُقدّم محمد حسن علوان على لسان ابن عربي الوحي والعقل والقلب كثلاث طرق لاكتساب المعرفة، حيث يميل الفقهاء إلى الوحي فقط، والفلاسفة إلى العقل فقط، ويهتمّ الصوفيون بالقلب فقط. وخلص أخيرا إلى أنّ التفسير والتأويل والحب هي الوسائل التي تربط بين هذه المنظومة المعرفية في الإسلام وتُحقّق التواصل بين هذه الفئات الثلاث. ويُسمّي الجسر الذي يربط بين الوحي والعقل التفسير، والجسر الذي يربط بين الوحي والقلب التأويل، والجسر الذي يربط بين العقل والقلب الحب.

المصادر

- القرآن الكريم
- ابن عربى، محى الدين (٢٠٠٥). ديوان ترجمان الاشواق. بيروت: دارالمعرفة.
- ابن عربى، محيى الدين (١٩٩٩). الفتوحات المكية. بيروت: دار الكتب العلمية.
- إرول قليچ، محمود (١٣٩٤). آفاق عرفان ابن عربى نگاهى كلى به زندگى و آثار. ترجمه‌ى توفيق سبحانى. چاپ اول. تهران: هرمس.
- بن سعدة، هشام (٢٠٢٢). «ابن عربي الأندلسي، انغلاق رحلة وانفتاح خطاب في رواية موت صغير لمحمد حسن علون». مجلة جسور المعرفة. المجلد٨. العدد٢. صص٧٠-٨٢.
- بنسعيد، مها (٢٠١٨). «موت صغير لمحمد حسن علوان حكاية متخيلة عن ابن عربي». عمان، مجلة نزوى. العدد ٩٤، صص٢٩٤-٢٩٨.
- بوقطوش، عبدالرزاق (٢٠٢٢). «آليات تطويع التراث الصوفي لتشكيل البنى السردية في رواية موت صغير». مجلة البحوث والدراسات الإنسانية. المجلد١٥. العدد٢. صص٣٥٣-٣٨٢.
- بوكرش، كريمة (٢٠١٧). الوظائف السردية والدلالية للخطاب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة "شجرة العابد" لعمار علي حسن نموذجا. أطروحة دكتوراه. جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.
- تيشة، سميّة (٢٠٢٣). «توظيف التراث في رواية موت صغير». مجلة جسور المعرفة. جامعة حسيبة بن بوعلى شلف. المجلد٩. العدد٣. صص٣٩٨-٤١٠.
- الجابرى، محمد عابد (١٩٩١). التراث والحداثة. الطبعة الأولى. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.
- الجبرين، أمينة بنت عبدالرحمن (٢٠٢٠). «المرأة والمدينة في رواية موت صغير، وهم الحب وتجلّيات التصوف». المجلة العربية للعلوم الإنسانية. المجلد٣٨. العدد١٥٢. صص١١٧- ١٥٠.
- جدعان، فهمى (١٩٨٥). نظرية التراث و دراسات عربية وإسلامية أخرى. الطبعة الأولى. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- جدعان، فهمي (١٩٩٧). الماضي في الحاضر. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الحارثي، سميرة ردة حسين (٢٠١٧) «المكان، الصورة والدلالة رواية موت صغير لمحمد حسن علوان نموذجا». جامعة الأزهر. حولية كليّة اللغة العربية. العدد الحادي والعشرون. صص٣٥٤٧-٣٦٠١.
- حنفي، حسن (١٩٩٢). التراث والتجديد. الطبعة الرابعة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- حيدري، طاهرة (١٤٤٥). «توظيف التاريخ في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان». مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. السنة٢٦. العدد١. صص٦١-٨٧.
- سرباز، حسن و آريادوست، سيدحسن (١٣٩١). «بازخوانى شخصيت‌هاى قرآنى در رمان طيور الحذر ابراهيم نصرالله». مجلة، الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها. العدد٢٥، صص ١١٢-٧٩.

- السناني، سليمان سالم (٢٠٢١). «بنية الزمن في رواية موت صغير». مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية. المجلد٢٩. العدد٥. صص٣٥١-٣٧٣.
- سيد حسانين، سهير محمد (٢٠٢٣). «الاغتراب والسرد الكراماتي في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان». مجلة علوم العربية. جامعة بني سويف المصرية. المجلد الثالث. العدد السادس. صص١٣٠-١٥٩.
- عبدالرحمن، طه (د.ت). تجديد المنهج فى تقويم التراث. الطبعة الرابعة. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- عداس، كلود (١٣٨٧). در جستجوى كبريت احمر، ترجمه‌ى فريدالدين رادمهر. چاپ اول. تهران: نيلوفر.
- علوان، محمد حسن (٢٠١٦). موت صغير. الطبعة الأولى. بيروت: دارالساقى.
- العيسى، منال بنت عبدالعزيز (٢٠١٧). «الخطاب الصوفي في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان». مجلة جذور. العدد٤٧. صص١٨٩-٢٢٥.
- فروغى، رحيم (١٣٩٦). «نمى‌دانم كجاى زمينم، بخشى از رمان عشق مرگى كوچک». روزنامه شرق. سال چهاردهم. شماره ٢٩٣٦، ص١١.
- القاعود، حلمى محمد (٢٠١٠). الرواية التاريخية فى أدبنا الحديث. الطبعة الثانية. كفرالشيخ: دارالعلم والإيمان.
- نعامنة، محمود (٢٠٢٤). «محمد حسن علوان ورواية موت صغير: تجربة التصوف المستعادة محي الدين ابن العربي ملهما». مجلة المجمع. العدد١٩. صص١٩١-٢١٢.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (د.ت). صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. بيروت: داراحياء التراث العربي.
- وتار، محمد رياض (٢٠٠٢). توظيف التراث فى الرواية العربية المعاصرة. دمشق: من منشورات اتحاد الكتاب العرب.

References

- The Holy Quran
- Ibn Arabi, Muhyiddin (2005), Diwan Tarjuman al-Ashwaq, Beirut: Dar al-Ma'rifah.
- Ibn Arabi, Muhyiddin (1999), Al-Futuhat al-Makkiyya, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- Arol Qlich, Mahmoud (1394), Afaqe Irfane Ibn Arabi, An Overview of Life and Works. Translated by Tawfiq Subhani. First Edition. Tehran: Hermes.
- Ben Saada, Hisham (2022), "Ibn Arabi al-Andalusi, the Closure of a Journey and the Opening of a Discourse in Mohammed Hassan Alwan's Novel 'A Small Death'," Journal of Josur al-Ma'rifah, Vol. 8, No. 2, pp. 70-82.
- Bensa'eed, Maha (2018), "A Small Death by Mohammad Hassan Alwan: An Imaginary Tale about Ibn Arabi," Amman, Nizwa Journal, No. 94, pp. 294-298.
- Bouqtoush, Abd al-Razzaq (2022), "Mechanisms of Adapting the Sufism Heritage to the Formation Narrative Structures in the Novel 'A Small Death'," Journal of Human Research and Studies, Vol. 15, No. 2, pp. 353-382.
- Boukrash, Karima (2017), The Narrative and Semantic Functions of Sufi Discourse in the Contemporary Arabic Novel: "The Tree of the Worshipper" by Ammar Ali Hassan as a Model, phD Thesis, Mohamed Boudiaf University in M'sila.

- Tisha, Sumaya (2023), "Employing Heritage in the Novel 'A Small Death'," Journal of Josur al-Ma'rifah, Hassiba Ben Bouali University of chlef, Vol. 9, No. 3, pp. 398-410.
- Al-Jabri, Mohammed Abed (1991), Heritage and Modernity, First Edition, Beirut: Markaz Dirasat al-Wahda al-Arabiyah.
- Al-Jabreen, Amina bint Abd al-Rahman (2020), "Woman and the City in the Novel 'A Small Death': The Illusion of Love and the Manifestations of Sufism," Arab Journal of Humanities, Vol. 38, No. 152, pp. 117-150.
- Jadaan, Fahmy (1985), Heritage Theory and Other Arab and Islamic Studies, First Edition, Amman: Dar Al-Shorouq.
- Jadaan, Fahmy (1997), The Past in the Present, First Edition, Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.
- Al-Harethi, Samira Radda Hussein (2017), "Place, Image, and Significance: The Novel 'A Small Death' by Mohammed Hassan Alwan, as a Model" Al-Azhar University, Annals of the Faculty of Arabic Language, No, 21, pp. 3547-3601.
- Hanafi, Hassan (1992), Heritage and Renewal, Fourth Edition, Beirut: University Foundation for Studies and Publishing.
- Haidari, Tahera (1445), "Employing History in the Novel 'A Small Death' by Mohammed Hassan Alwan," Journal of Horizons of Islamic Civilization, 26th Year, No. 1, pp. 61-87.
- Sarbaz, Hassan and Ariadoust, Seyed Hassan (1391), "Rereading Quranic Characters in Ibrahim Nasrallah's Novel 'Birds of Caution'," Journal of the Iranian Association of Arabic Language and Literature, No. 25, pp. 79-112.
- Al-Sinani, Suleiman Salem (2021), "The Structure of Time in the Novel 'A Small Death'," Journal of King Abd al-Aziz University: Arts and Humanities, Vol. 29, No. 5, pp. 351-373.
- Sayed Hassanain, Soheir Mohammed (2023), "Alienation and Karamat Narrative in the Novel 'A Small Death' by Mohammed Hassan Alwan," Journal of Arabic Sciences, Beni Suef Egyptian University, Vol. 3, No. 6, pp. 130-159.
- Abd al-Rahman, Taha (n.d.), Renewing the Curriculum in Heritage Assessment, Fourth Edition, Beirut: Arab Cultural Center.
- Addas, Claude (1387), In Search of the Red Sulfur, Translated by Farid al-Din Radmehr, First Edition, Tehran: Niloufar.
- Alwan, Mohammed Hassan (2016), A Small Death, First Edition, Beirut: Dar Al-Saqi.
- Al-Issa, Manal bint Abd al-Aziz (2017), "Sufi Discourse in the Novel 'A Small Death' by Mohammed Hassan Alwan," Judhur Journal, No. 47, pp. 189-225.

- Foroughi, Rahim (1396), "I Don't Know Where I Am on Earth, Part of the Novel 'Love, a Small Death'," Sharq Newspaper, 14th Year, No. 2936, p. 11.
- Al-Qa'oud, Helmy Mohammed (2010), The Historical Novel in Our Modern Literature, Second Edition, Kafar El-Sheikh: Dar Al-Ilm Wal-Iman.
- Na'amneh, Mahmoud (2024), "Mohammed Hassan Alwan and the Novel 'A Small Death': The Restored Experience of Sufism, Muhyiddin Ibn Arabi as an Inspiration," Al-Majma' Journal, No. 19, pp. 191-212.
- Al-Nisaburi, Muslim bin Al-Hajjaj (n.d.), Sahih Muslim, Edited by Mohammed Fouad Abd al-Baqi, Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
- Watar, Mohammed Riyad (2002), Employing Heritage in the Contemporary Arabic Novel, Damascus: Publications of the Arab Writers Union.

فصلنامهٔ مطالعات روایت‌شناسی عربی
شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶ شاپا الکترونیک:۰۱۷۹-۲۷۱۷

بازخوانی اندیشه‌های صوفیانه ابن‌عربی در رمان "موت صغیر" محمد حسن علوان

حسن سرباز،[1*] هیوا باباصفری[2]

چکیده

تصوف یکی از پایه‌های ارزشمند میراث اسلامی است که به شیوه‌های گوناگون در شعر و ادبیات اسلامی بازتاب یافته است، به طوری که شاعران و ادیبان زیادی تحت تأثیر اندیشه‌های صوفیانه قرار گرفته و میراث صوفیه را در آثار خود به کار گرفته‌اند. میراث صوفیه در ادبیات معاصر عربی علاوه بر شعر، در ادبیات داستانی و به ویژه رمان هم بازتاب گسترده‌ای یافته است. از جمله رمان نویسانی که به میراث تصوف و بازخوانی شخصیت‌های صوفیه توجه ویژه‌ای کرده است، محمد حسن علوان، رمان نویس برجسته معاصر عربی است که در رمان "موت صغیر" به بازخوانی افکار و اندیشه‌های ابن عربی عارف و صوفی سرشناس جهان اسلام پرداخته است. اهمیت رمان «موت صغیر» در این است که علاوه بر بازخوانی اندیشه‌های ابن‌عربی به عنوان یکی از شخصیت‌های برجسته‌ی تاریخ اسلام و یکی از بزرگترین تئوریسین‌های تصوف اسلامی، تصویری از اوضاع و احوال دنیای اسلام و جهان عرب در برهه‌ای حساس از تاریخ را نیز در اختیار خواننده قرار می‌دهد و بسیاری از موضوعات تاریخی، فلسفی، سیاسی، اجتماعی وعرفانی را با زبانی ادبی بیان می‌کند. در این پژوهش تلاش می‌شود با استفاده از روش توصیفی و شیوه‌ی تحلیل محتوا، بازخوانی افکار و اندیشه‌های ابن‌عربی در رمان"موت صغیر" محمد حسن علوان مورد بررسی قرار گیرد. نتایج پژوهش نشان می‌دهد که نویسنده، مراحل مختلف زندگی ابن عربی و افکار و اندیشه‌های او را با استفاده از منابع معتبر تاریخی و خود آثار ابن عربی بازخوانی نموده، ولی تولد و مرگ وی را از زبان خودش و در فضایی کاملا تخیلی و ماورایی روایت کرده است.

کلید واژگان: روایت شناسی عربی، میراث تصوف، ابن‌عربی، محمد حسن علوان، رمان موت صغیر.

تاریخ دریافت: ۱۴۰۲/۰۲/۳۰ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۲/۰۹/۲۸

فصل بهار ۱۴۰۴ (سال ششم، شماره ۱۶)، صص. ۸۷-۱۰۵

[1] دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه کردستان، سنندج، ایران (نویسندهٔ مسئول) *h.sarbaz@uok.ac.ir*
[2] کارشناسی ارشد زبان و ادبیات عربی دانشگاه کردستان، سنندج، ایران *hiwababasafari@gmail.com*

CC BY NC

ناشر: دانشگاه خوارزمی با همکاری انجمن ایرانی زبان وادبیات عربی